الخروج من الغار*

1

في غار
والغار منقور في ـ حُوش ـ
والحُوش منقور في هضبة صخريّة
والهضبة يجري من تحتها وادٍ من صوّان الحجر
مرّة في العشرين سنة أو من جيل إلى جيل ينحدر بالسّيل فيجرف شجرات التّين والزّيتون
وفي ذلك الواد بئر
هو ـ بئر الكرمة ـ الذي إليه ينسب ذلك المكان حيث وُلدتُ فيه وترعرعتُ على مسافة ساعة مَشيا على الأقدام من قرية ـ غمراسن ــ بالجنوب الشّرقي من البلاد التّونسيّة.
هي قرية قديمة جدّا فالنّقوش البدائيّة التي تمثّل الصيّادين والغزلان والأبقار ما تزال واضحة في بعض الكهوف القريبة من مجاري الأودية التي اِستوطونها الإنسان منذ سابق العهود ولا شك ان القبائل البربرية هي التي اِستقرّت بها ففلحت خصب الأراضي وغرست أزكى الأشجار وتحصّنت بقمم الجبال كلما هدّدتها جحافل الغزاة عبر التاريخ وما تزال أغلب الأماكن تحمل الأسماء البربرية بما في ذلك ـ غمراسن ــ التي تعني ـ سيّد القوم ـ غير أنّ اللغة المستعملةَ والسّائدة بين الناس في ربوع غمراسن منذ أجيال عديدة هي العربية وذلك نتيجة لحركة الاِنصهار بين البربر والعرب منذ أمد بعيد ممّا جعل أهل غمراسن عامة منفتحين على الآخرين ويندمجون بسهولة مع غيرهم مع محافظتهم على بعض طبائعم الأصيلة بالرّغم أنهم قد اِستوطنوا كامل مناطق البلاد التونسية وهاجروا خاصة إلى بلاد الجزائر وأوروبا.

2

في سنة إثنتين وخمسين وتسع مائة وألف وعند وقت الحصاد ولدتُ ...
كذلك أخبرتني أمّي, والحصاد يناسب في تلك الرّبوع أوائل الصّيف الذّي يحلّ عند الأيّام الأخيرة شهر ماي تقريبا. لكنّ والدي سجّلني يوم السّابع من شهر أوت من تلك السّنة عندما عاد من تونس العاصمة التّي كان يعمل بها في صناعة الفطائر مثل أغلب النّاس في غمراسن.
كنت المولود الثّالث فقد تُوفّيت أختي ـ آسية ـ ثمّ توفيّ أخي ـ الحبيب ـ ولم يتخطّيا السّنة الأولى.
أبي هو سعيد بن سُوف الجين بن أحمد بن محمّد بن عبيد الذي ينّتصل بالنّسب مع عديد العائلات القريبة والمتصاهرة في المنطقة.
أمّي هي مريم بنت سالم بن نصر بن محمّد بن عبيد .
لُعبي الأولى كانت من الطّين أملّسها خيولا وعربات وسيّارات ومنجريد النّخل أركض عليه كالفارس ومن كرة الخرق نركلها بالأرجل الحافية.
عندما بلغت السّنة الثّالثة أصيبت عيناي بالرّمد فأخذني والدي إلى تونس العاصمة للتّداوي فنزلت عند عائلة من أعمامي بنهج ـ الحجّامين ـ وهو حيّ من المدينة العتيقة خارج ـ باب الجديد ـ ثمّ عُدت إلى غمراسن مُعافى.
في منتصف الخمسينات كنت صبيًّا ليس بوسعه الكلام بيُسر نظرًا للتّلعثم الذي كان

يستبدّ بي عند النّطق ومازلت أذكر السّبعة ألسن التّي أكلتها في عيد الإضحى ... ولكن دون جدْوى ولم أتخلّص من تلك العقدة اللّسانية إلاّ في المرحلة الأخيرة من تعليمي الثّانويّ !
كانت أكبر عائق لي في حياتي ولكنّها علّمتني الصّمت والإيجاز.

3

سنة 1958 دخلت إلى المدرسة الابتدائية ــ بمقرين العليا ــ وهي من الضّواحي الجنوبيّة لتونس العاصمة وأقمتُ سنتين لدى عمّي ـ عبد الرّحمان ــ الذي كان يعمل في مخبر مستشفى ـ الحبيب ثامر ـ
سنتان شديدتان في حياتي كنت أزور خلالهما مرّة في الأسبوع والدي الذي كان يعمل في دكّان الفطائر بشارع الحرّية عدد 58 وقد كنت أنتظر تلك الزيارة الأسبوعية بشغف شديد حيث أعود محمّلا بالشكلاطة والجُبن وبالقطع النقدية في جيبي.
سنة 1960 عُدتُ إلى مدرسة ـ غمراسن ـ تلميذًا دون المتوسّط ودرستُ بها سنتين.
سنة 1962 رحلت عائلتي إلى العاصمة فأقمنا بشقة صغيرة بنهج ـ المغرب ــ قرب باب الجزيرة في تونس العاصمة وكان والدي قد إشترى مع عمّي ــ الحاج بشير ــ فندقا صغيرا بالمدينة العتيقة ومغازة لبيع مواد البناء كائنة بنهج سيدي بومنديل عدد 29 وترك عمل الفطائر والحلويات

4

منذ حلولي بالعاصمة كنتُ أرافق اِبن عمٍّ لأبي هو سِي ـ الحبيب عبيد ـ كان يتردّد على المكتبة العموميّة بنهج يوغسلافيا وله بعض رسائل تبادلها مع الأديب ميخائيل نعيمة الذي اِلتقاه عند زيارته لتونس.
في سنة 1964 دخلت المدرسة الصّادقيّة وكان أوّل أستاذ اِستقبلنا هو الأستاذ سيّدي البشير العريبي الذي كان يغمرنا بعطفه ولطفه ويملأ وطابنا بأخبار الجاحظ وطه حسين.
سنة 1967 وفي أوائل شهر جوان خرجنا من المدرسة الصّادقيّة في مظاهرات صاخبة اِحتجاجًا على الحرب العربيّة الإسرائيليّة وفي تلك السّنوات اِطّلعت على قصص جرجي زيدان وطه حسين وجبران خليل جبران وقرأت الشّابي ونزار قبّاني و مجلة الفكر وقصص والآداب وأحببت من المغنّين عبد الحليم حافظ وشارل أزنافور.
سنة 1969 توجّهت إلى شعبة الآداب فاِنتقلت إلى معهد اِبن شرف ومنه إلى كليّة الآداب نهج 9 أفريل بتونس العاصمة سنة 1972.

5

سنة 1966 بدأت كتابة الشّعر ونشرت لي جريدة ـ الخدّام ـ في تلك السّنة بعض المقاطع ـ وكنت أرسل كتاباتي إلى برنامج هوّاة الأدب الذي كان يشرف عليه الشّاعر أحمد اللّغماني.
منذ سنة 1970 واكبت الأمسيات الشّعريّة والأدبيّة التي كانت تقام بالنّوادي الأدبيّة مثل دار الثّقافة اِبن خلدون واِبن رشيق ونادي قدماء الصّادقيّة بنهج دار الجلد ونادي القصّة أبي القاسم الشّابي بالورديّة وتعرّفت إلى الشّاعرين الطيّب الرّياحي وسُويلمي بوجمعة.
سنة 1973 درستُ التّرجمة لدى أستاذي الأديب صالح القرمادي الذي بهرني بسعة اِطّلاعه على اللّغات وترجم لي إلى الفرنسيّة بعض القصائد سنة 1974 بمجلة ـ ألف ـ

ثم قصيدة ـ إنكسار صهيل خيول الإفرنج سنة 1975.
وفي هذه الفترة تعرّفت على شعراء وأدباء جيلي ومنهم مختار اللّغماني ومختار العبيدي وخالد النجّار ومصطفى المدائني ومحمد كمال المدائني والحبيب السّالمي ومحمّد البدوي ومصطفى التّواتي وعبد السّلام لصيلع ومحمّد أحمد القابسي ونور الدّين عزيزة والحبيب بيدة ومحمّد رضا الكافي وعبد الحميد خريّف والبشير المشرقي وعزيّز الوسلاتي ومحمد الطاهر الضيفاوي وعزّوز الجملي و نجاة العدواني وسميرة الكسراوي ومحمد معالي وأحمد عامر ومحمّد بن رجب وغيرهم وقد شجّعتني قبل هذه الفترة و أنا تلميذ بالصادقية الأديبة حياة بالشيخ أخت صديقي رؤوف بالشيخ الذي درس معي في التعليم الثانوي وشجعني في النّشر منذ سنة 1970 الأستاذ حسن حمادة في جريدة ـ الصّباح ـ والصّدى ـ ثمّ الأديب ـ عز الدّين المدني ــ وأبو زيّان السّعدي ـ في ـ الملحق الثّقافي ــ لجريدة العمل سنة 1973 ثم الأديب ــ محمّد مصمولي ـ في جريدة ـ الهدف ـ سنة 1974
سنة 1976 تخرّجت من كليّة الآداب بأستاذيّة العربيّة ثمّ مباشرة قمت بالواجب العسكريّ بالأكاديميّة العسكريّة ب ـ فندق الجديد ـ وبعد التّدريب تحصّلت على رتبة ملازم في جيش الطّيران حيث أتممت الخدمة العسكريّة بالقاعدة الجوّية بمدينة بنزرت قمت خلالها بالتّدريب والمحاضرات.

6

في أكتوبر 1977 إنضممت إلى سلك التّدريس بالمعاهد الثّانويّة ودرّست أوّلا بمعهد إبن أبي الضّياف بمنّوبة ثمّ بمدينة بوسالم سنة 1980 ثمّ بمدينة ماطر سنة 1981و اخيرا بمعهد ـ فرحات حشّاد برادس ـ من أكتوبر 1981 إلى اليوم.
في سنة 1978 تزوّجت بالسّيدة ليلى بنت محمد أبو سعد وأنجبتُ إبني زياد يوم 17 جوان 1984.
سنة 1979 ناقشت تحت إشراف أستاذي الدّكتور سعد غراب رسالة شهادة الكفاءة في البحث حول تحقيق الجزء الثّالث من تفسير إبن عرفة.
سنة 1980 أصدرت على نفقتي الخاصّة المجموعة الأولى بعنوان ـ الأرض عطشى ــ وإنضممت إلى إتّحاد الكتّاب التّونسيّين.
في جوان 1981 إستوطنت مدينة رادس .
سنة 1984 صدرت المجموعة الثّانية "نوّارة الملح" عن دار ديميتير لكنّ الرّقابة لم تسمح بتوزيعها إلاّ في السّنة الموالية.
سنة 1985 صدرت المجموعة الثّالثة ـ امرأة الفسيفساء ـ عن دار الرّياح الأربع.
سنة 1989 صدرت المجموعة الرّابعة ـ صديد الرّوح ـ عن دار النّورس.
سنة 1990 ترشّحت للهيئة المديرة لإتّحاد الكتّاب التّونسيّين باقتراح ودعم من الأديب محمد العروسي المطوي وتحمّلت مسؤوليّة الكتابة العامّة ونظّم خلالها إتّحاد الكتّاب مؤتمر إتّحاد الأدباء العرب ومهرجان الشعر العربي في ظروف حرب الخليج الأولى.
سنة 1992 صدرت المجموعة الشّعريّة الخامسة ــ جناح خارج السّرب ــ عن دار النّورس.

7

البلدان التّي زرتها هي الجزائر والمغرب وليبيا ومصر والعراق والأردن وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا وهولاندا واليونان ويوغسلافيا.
المقاهي التّي جلست فيها للقراءة وللكتابة هي خاصّة مقهى ـ الأندلس ـ تحت المكتبة الوطنية بسوق العطّارين ومقهى ـ الكون ـ بشارع الحبيب بورقيبة ومقهى ـ الكوليزي

ـ ومقهى ـ الفلورنسا ـ بشارع قرطاج.
ومن أصدقائي الحميمين خاصّة الفنّان محمود ڤفصية ومحمّد البدوي والمرحوم محمّـد البقلوطي.

كُتب برادس سنة ستّ وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد
يوم: الأربعاء 31 جويليا 1996